المواعيد

— ٣ —

بقلم كاتب كبير معروف

الحري بنا ان نقتدي بخاتم الرسل المنقذ الاعظم صلى الله عليه وآله : فهو القائل « ... ولأن امشي مع اخ لي في حاجة احب الي من ان اعتكف في هذا المسجد شهراً » هذا هو النهج القويم الانساني الذي يجب ان يسلكه المؤمنون من المسلمين وغير المسلمين ، والا فما قيمة المرء اذا لم يرغب في معالي الامور فيقضي الحاجات ويكسب رضى الله وحمد الناس وثناء التأريخ ؟

على هذا المحك تتجلى مروءآت الرجال ومن هنا يتميز اهل الفضل والعزائم عما سواهم من الطبقات الدون ممن لا يصلحون للمكارم ولا تصلح المكارم لهم ...!

* * *

ولعل في هذا الذي مرّ بك مقنعاً لذوي البصر والبصيرة وانه لحري بكل حر كريم ان يعد ويفي ، ويتجنب مطلا في وعد ، وخلفاً في حاجة ضمن انجازها وأدخال السرور على ذويها .

لعل في هذا الشرح الذي هو كعنوان لكتاب « المواعيد » في الادب العربي كفاية ومقنعاً لذوي الضمائر والبصائر .

ولكننا ذاكرون في ما يأتي طرائف وحكماً وامثالا كريمة اشباعاً لموضوع المواعيد ، وجل رغبتي في ذلك ان يكون قارىء هذه الوريقات ملماً بفيض من فيض مما قالته الانبياء (ص) واهل العقول الصافية والقرائح الانسانية في هذه المواعيد حمداً او ذماً آملا ان يجد القارئ المتدبر من الموظفين وغير الموظفين سلوة الى جنب العظة ، وحثاً على الوفاء واداء الواجب .

واذا اطلت في ذكر الشواهد والامثال والحكم فقد وضعت امام المطالع روضة انفاً يستنشق منها عبير المجد واريج المكارم ؛ فهي منهاج بل هي قانون لكل انسان اصبح مرجعاً لقضاء حاجات الناس .

واليك هذه القلادة البكر مرصعة بالحكم القصار فاحرص عليها وسر على نهجها ووصاياها فانها لتستحق حرصاً عليها واحتفاظاً بها ...

* * *

قال صلى الله عليه وآله ، اصطناع المعروف يقي مصارع السوء ، وقال الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال مسلم بن الوليد :

سأموت من كمد وتبقى حاجتي فيما لديك وما لها من طالب

وليس من ريب في أن فعل العرف ابتداءاً نبل ومروءة وانجاز الوعد بعد التعهد بالشيء مجد وعفاف عن اللؤم والخلف .

خرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال ما رأيت مثل اربع كلمات تكلم بها اليوم انسان عند هشام ، فقيل له وما هن ؟ فقال :

دخل رجل على هشام فقال يا أمير المؤمنين ، احفظ عني اربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك فقال هاتهن ، قال :

لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بانجازها .

والثانية : لا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعراً .

والثالثة : اعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب .

والرابعة : إن للامور بغتات فكن على حذر منها .

قال بشار :

اذا قال ثم على قوله ومات العداء بلا أو « نعم »

قال عبد الله بن عباس رحمه الله ، وما اروع ما قال !:

اذا طارقات الهم ضاجعت الفتى واعمل فكن الليل ، والليل ساكر

وبا كرني في حاجة لم يكن لها
سواي ولا من نكبة الدهر ناصر

فرجت بمالي همه عن خناقه وزايله الهم الطروق المساور
وكان له فضل علي بظنه بي الخير اني للذي ظن شاكر

ألا ترى النبل تمثالا شاخصاً في هذه الابيات الكريمة ، ووالله لكأنها حشيت مجداً ومكارم اخلاق ، وليس بذي وشرف ومروءة من لا يدين بهذه الصفات الحميدة وليس بعربي وليس بكريم ذي حسب من اخاف ظن الوافد عليه أو وعده فمطله فما في ذلك الا سوء الاحدوثة والذكر القبيح ، وليس من الناس من يرضيه قبيح يقال فيه أو كلمة تجرح عرضه ، فان اردت معالي الامور فهي في هذه الحكم والدرر الغوالي فان اعتنقتها مبداً فقد تقلدت المجد ، وعلا مفرقك اكليل من الغار والسؤدد .

* * *

قال اسماء بن خارجة : « ما احب ان ارد أحداً عن حاجة طلبها ، لانه لا يخلو ان يكون كريماً فاصون عرضه ، أو لئيما فاصون عرضي منه »

ولاعرابي في هذا المجرى :

يمد نجاد السيف حتى كأنه
بأعلى سنامي فالج (١) يتطوح
ويدلج في (خاجات) من هو نائم
ويوري كرامات الندى حين يقدح
يزيد على فضل الرجال فضيلة
ويقصر عنه مدح من يتمدح

قال حكيم : (من علم ان كلامه من عمله ، قل كلامه إلا فيما يعنيه .)

أبو تمام :

* * *

واقل الاشياء محصول نفع صحة القول والفعال مريض

ووقع طاهر بن الحسين : (والله لئن هممت لافعلن ، ولئن فعلت لاءبرمن ، ولئن ابرمت لاحكمن)

(١) الفالج : الجمل ذو السنامين .

وهذا من حزم الامور ، وانه لجدير بمن بيدهم زمام شان من شؤون الناس ان يكون هذا شعارهم في تصريف الامور .

وقع المأمون الى عامل له شكي منه : (قد كثر شاكوك فأما عدلت واما اعتزلت) !

كتب ابن مكرم الى بعض ذوي المناصب : (واسألك عفو امكانك في حاجتي ، واضمن لك جهدي في شكرك) .

* * *

وصف اديب بعض الرؤساء وقد طلب منه حاجة فقال : (رأيت رغبته في الانعام فوق رغبته في الشكر ! وحاجته الى قضاء الحاجة اشد من حاجة صاحب الحاجة) ؟!

قال اكثم بن صيفي حكيم العرب : ذللوا اخلاقكم للمطالب وقودوها الى المكارم ، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم ، وصلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يكسبكم المحبة ولا تتعدوا البخل فتتعجلوا الفقر .)

خالد بن عبد الله القسري : (أيها الناس عليكم بالمعروف فان الله لا يعدم فاعله جوازيه ، وما ضعفت الناس عن اداءه قوي الله على جزائه)

ولقد قال سيد الكائنات صلى الله عليه وآله :

[اصطناع المعروف يقي مصارع السوء]

قال صلوات الله عليه وآله : [اذا اردتم ان تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء]

وقال [ص] إن الله يحب مكارم الاخلاق و يبغض سفسافها]

قيل لحكيم ما افادك الدهر ؟ قال : العلم به ! قيل : فما احد الاشياء ؟ قال [ان تبقى للانسان احدوثة حسنة]

قال ارسطو طاليس : [من انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظن بك والثقة بما عندك]

عبد الله بن عباس : سادات الناس في الدنيا الاسخياء وفي الاخرة الاتقياء]

ابو مسلم الخولاني : [ما شيء احسن من المعروف إلا ثوابه وما كل من قدر على المعروف كانت له نية فاذا اجتمعت القدرة والنية تمت السعادة] وانشد :

ان المكارم كلها حسن والبذل احسن ذلك الحسن

عبد العزيز بن مروان : [اذا امكنني الرجل من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي اعظم من يدي عنده .]

قال عمرو بن العاص : [والله لرجل ذكرني ، بنام على شقه مرة وعلى شقه اخرى يراني موضعاً لحاجته ، لأوجب علي حقاً اذا سألتها ، مني إذا قضيتها له !]

ولبعضهم :

لا يكن وعدك برقاً خلباً ان خير القول ما الغيث معه

قال زياد [كفى بالبخل عاراً ان اسمه لم يقع في حمد قط ، وكفى بالجود فخراً ان اسمه لم يقع في ذم قط]

قال الشاعر :

لا يعدم السائلون الخير افعله إما نوالا وإما حسن مردود

ولآخر :

اذا مطلت امرءاً بحاجته فامض على مطله ولا تجد

فلست تلقاه شاكراً ابداً كدرها المطل آخر الابد

قال ابن المعتز :

والحرص ذل والبخل فقر وآفة النائل المطال

قال بعضهم :

ان كنت لم تنو فيما قلت لي صلة

فما انتفاعك في حبسي وترديدي ؟

فالمنع أجمله ما كان اعجله والمطل من غير عسر آفة الجود

ومثله قول الآخر :

وعدتني سبتاً مضى فسبتا حتى اذا السبت اتى اخلفتا

أحسن من وعدك لو انجزتا

ونظير هذا للبحتري اذ يقول :

ووعدتني يوم الخميس وقد مضى

من دون موعدك الخميس الخامس !

وللمتنبي في كافور :

جوعان يأكل من زادي ويمنعني

لكي يقال عظيم القدر مقصود ...

جود الرجال من الأيدي وجودهم

من اللسان فلا كانوا ولا الجود

يتبع

رباعيات

للعلامة السيد عباس شبر

— ١١ —

أيها المنعش المشاعر بالشعر أسحراً تجلوا لنا أم رحيقا

قد ملكت (البيان) طراً فما ابـ بقيت لفظاً حراً ومعنى رقيقا

فرأينا فعل الرحيق جديدا ضعف ما يفعل الرحيق عتيقا

ونهضنا الى الرحال سكارى وسعيد من قد اصاب الطريقا

— ٢١ —

أدبي قد جنى علي وخلقي ما تفرت بغيره أوداجي

كنت أحيا محيا رفاقي سعيداً لو أحابي هذا وذاك اوداجي

لم يرق لي اني اطعم حيناً بنفاق الورى نقي مزاج

ولكم أدخل السموم طبيب في العقاقير عن طريق العلاج

— ١٣ —

لست أرضى لصقر فكري مجالا دون أجواز هذه الزرقاء

لي في قعر ذا الحضم إتصال واتصال مغلغل في العلاء

لم يكن مهبطي على ثقيلا لو تجردت من ثقيل ردائي

انما أنت غائص فاطلب الدهر نفيساً واعرج به للسماء

— ١٤ —

دميت القدس أنت أيتها النفـ ـس وللعقل فيك أي ولوع

كيف زاغت عنك الهواجس فيا كـ ناف صبري وانت بين ضلوعي

نور عيني وربما انعكس النور لعيني من مرايا الدموع

هل ازاني احضى بطيف خيال فابغني الطيف ان ضمنت هجوعي

— ١٥ —

ليس في هذه البلاد مقابيس ولا في ابنائها من يقيس

كن دخيلا وارأس بها كيفما شئـ ـت فان الدخيل فيها رئيس

واذا أعوزتك بسطة علم فسيغني مكانها التدليس

قد نصحت الطاووس ان يتعرى اذ تساوى الغراب والطاووس

البصرة : عباس شبر